الأهرام
المصدر: المصور
التاريخ : ١٩٧٥/١٢/١٩
مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات

# المسيرة الطويلة من الهزيمة إلى النصر

## خمس سنوات مع الرجل الذى أحال هزائمنا إلى انتصارات

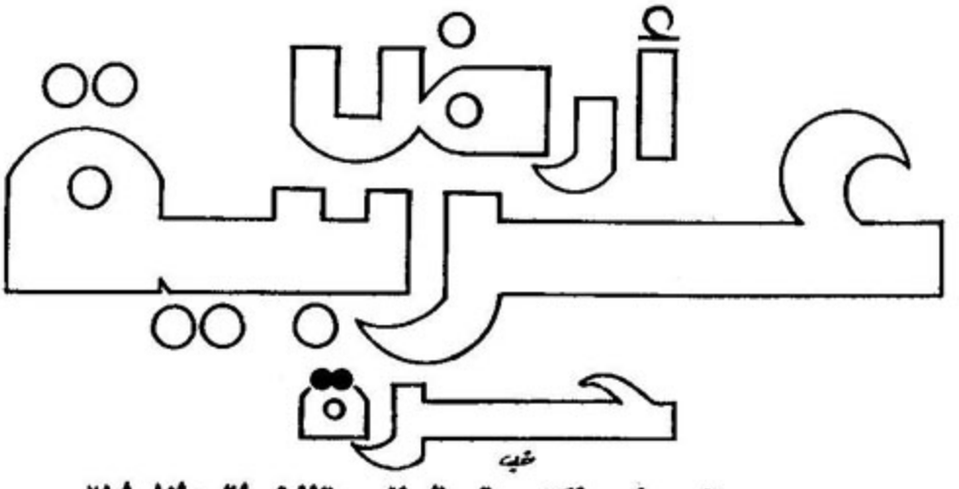


منذ بدأت اكتب قصة المسيرة الطويلة وانا اتلقى الكثير من رسائل الاخوة القراء فى مصر وفى الاقطار العربية الشقيقة وبعض هذه الرسائل التى يحتاج الى ردود خاصة أتولى الرد عليها فورا ، أما الرسائل الاخرى وهى التى تحتاج الى حوار ومناقشة فقد آثرت ان أدعها لما بعد الانتهاء من كتابة قصة المسيرة ، ولكن بعض الإخوة ألحوا على فى ان ارد على بعض اسئلتهم هذا الاسبوع ، وفى مقدمة ما طرحه هؤلاء الاخوة من أسئلة : لماذا الحديث باستفاضة عن مرحلة الكفاح الوطنى التى سبقت قيام ثورة ١٩٥٢ ؟

هل يفهم من التركيز على موضوع الكفاح المصرى الوطنى قبل الثورة تمهيد الجو لاية اتجاهات اقليمية جديدة يمكن ان تنشأ فى مصر ؟ وهل هناك فعلا تناقض بين الكفاح المصرى ، والكفاح العربى ؟ ثم : الا يمكن الخوف من ان تكتفىء مصر ، على نفسها وتعالج قضاياها الخاصة الامر الذى لا يجعلها تعطى الاهمية القصوى للقضية العربية ككل ؟ و.. و .. وابادر فاقول ـ ومن منطلق الصدق الذى عودت القارىء عليه ـ اننا عندما نركز على الكفاح الوطنى المصرى فى مرحلة ما قبل الثورة لا نريد اكثر من مخاطبة الشباب العربى بصفة عامة والشباب المصرى بصفة خاصة ليروا ـ وهم شباب اليوم ـ كيف كان العمل الوطنى فى مرحلة هامة من مراحل نضالنا القومى : كيف كان واعيا ،ومستنيرا وكيف كانت قضية التحرير ـ ولا شىء غير قضيةالتحرير هى الشغل الشاغل لشباب الامس الذين احبوا وطنهم الى ابعد درجات الحب ، والذين ضحوا فى سبيل قضيته بكل ما يملكون من جهد حيث وضعوا رقابهم على اكفهم وانطلقوا يكافحون ويناضلون ، يتعرضون للسجن والتشريد ، والموت ، لا يريدون جزاء ولا شكورا ولا يستهدفون الا خدمة الجماهير التى آمنوا بقضاياها ، والتى وضعوا انفسهم مهما اختلفت آراؤهم واتجاهاتهم فى خدمتها ، ثم اننا ـ وليس فى ذلك ابدا رغبة فى التباهى ففى خدمة الاوطان لايجب الا نكران الذات ـ شهود على ما حدث فى تلك المرحلة من تطورات هى بلا جدال قمة فى الثورية الوطنية .

## نموذج رائع للشباب الوطنى

ولعل فى مقدمة ما تميزت به تلك المرحلة ان كل الفصائل الوطنية التى كانت تعمل لخدمة الوطن لم يكن بينها وبين بعضها فى الغالب صلات او ارتباطات عضوية ولكنها كانت تلتقى فى النهاية عند هدف واحد ، هو مصلحة الوطن ، وكانت كلها ـ ولا اقول بعضها ـ تصب فى مجرى واحد ، هو مجرى الوطنية الصادقة الاصيلة المبرأة من الاغراض الخاصة البعيدة كل البعد عن اية تيارات اخرى لا ترتبط بهذا الوطن ولا تؤمن بقضية تحرره ، وليس هناك فيما أرى رابطة اقوى من

رابطة العمل الوطنى الخالص المخلص ، من اجل ذلك كله نرى ان شبابنا فى امس الحاجة الى ان يدرس جيدا تلك الفترة ، التى لم تؤرخ بعد كما يجب ، وهو بحاجة الى ان يستفيد الى ابعد درجات الاستفادة من تجارب شباب الامس وهى بحق ملك للانسانية كلها ، تصلح للاستفادة منها فى كل عصر ، وفى كل مكان ، واذا كان محور حديثنا عن تلك المرحلة كفاح انور السادات بالذات فما ذلك لانه رئيس جمهوريتنا ، ولا لانه قائد مسيرتنا بل لانه وحده هو الذى جمع بين الحسنيين : الكفاح المدنى ، والكفاح العسكرى ، ولانه بحق ـ وهذا ما لا ينكره علينا احد ـ قد ضحى بما لم يضح به احد

## عروبة مصر

وقد كنت اود الا اتطرق فى تلك الدراسة الى الحديث عن موضوع اعتبره ويعتبره الجميع من البديهيات المسلم بها من قبل الجميع واعنى بذلك موضوع عروبة مصر وكون كل كفاح مصرى جزءا لا يتجزأ من الكفاح العربى ، وكون كل مكسب ينجح شعب مصر فى تحقيقه انما تعود نتائجه كلها على الشعب العربى كله .

ولكن البعض ممن تربوا على الحقد على مصر قد راحوا ـ وخاصة فى الشهور الاخيرة ـ يهاجمون عروبة مصر ، بل وينكرون عليها عروبتها ، واتخذ بعض هؤلاء وبكل اسف من بعض القصص والروايات والشائعات التى مضى عليها اكثر من نصف قرن ادلة يهاجمون بها مصر العربية بل ان بعضهم راح يتخذ من اقامة تمثال نهضة مصر ، للمثال الكبير مختار ، ومن نقل تمثال رمسيس الثانى من دهشور الى ميدان محطة مصر ، ومن العودة الى اسم مصر بعد اسم الجمهورية العربية المتحدة مبررات للهجوم على عروبة مصر ، واحب ان اقول ـ وباختصار شديد ـ ان عروبة مصر ليست من الامور المستحدثة كما انها ليست من صنع هذا الحاكم او ذاك وانما عروبة مصر مسالة تاريخية ازلية لا تعود الى اربعة عشر قرنا عندما جاءها الاسلام هاديا ومعلما وانما تمتد الى ابعد من ذلك بقرون عديدة وانصح هؤلاء « العلماء » « عباقرة هذا الزمان » الذين ينكرون على مصر اليوم عروبتها كلما فكرت فى ان تلتفت الى نفسها والى شقيقاتها العربيات فى وقت واحد انصحهم بان

يقراوا ماجاء فى بعض امهات كتب التاريخ بأقلام المؤرخين العالميين امثال ماسبيرو ، وهولدكين ، واسبرنجر الذين يروا ـ وبالوثائق التاريخية ـ ان عروبة مصر ، تمتد الى ما قبل ميلاد السيد المسيح بثلاثة آلاف عام او اكثر ، حيث اندفعت ـ كما يقول هؤلاء المؤرخون ـ نحو مصر ، جماعات عربية سنة ٣٥٠٠ ق . م نحو ارض مصر حيث الخصب والنماء وحيث امتزجت تلك الجماعات مع سكان مصر ومن هذا التزاوج خرج الشعب المصرى بل ان المؤرخ العالمى ماسبيرو يؤكد ـ ولديه وثائقه ـ ان سكان مصر مسلمين واقباطا ينتمون جميعا الى الاروما العربية وقد دخلوا مصر على اثر موجة بشرية امتدت من كلدية الى شقى النيل ولا دليل على ان دماء المصريين اختلطت اختلاطا يذكر بدماء غير عربية وقد جدد شعب مصر ـ كما يقول ماسبيرو ـ مسلمين واقباطا عروبتهم عند الفتح الاسلامى واقتبسوا العربية واصبحوا جميعا شعبا واحدا » فليوفر هؤلاء الذين يتحاملون على مصر ، اموالهم وجهودهم التى ينفقونها على حملاتهم ضد مصر وليوفروا كتبهم ومقالاتهم التى يحاولون بها الطعن فى عروبة مصر وليعرفوا ان مصر عبر تاريخها القديم والحديث محتلة كانت ام مستقلة ، وكانت ولا تزال وستبقى ما بقيت الدنيا جزءا لا يتجزأ من الشعب العربى ان عروبة مصر كاهرامها ثابتة لا تتحول بل هى ، كمياه نهر النيل ، لاتستطيع مصر الاستغناء عنها ، لانها شريان حياتها .

## بالعمل لا بالشعارات

ولو ان المجال يتسع هنا لنشرنا ـ مثلا ـ بعض الوثائق التى تؤكد ـ مثلا ـ ان سعد زغلول كان يجمع من اعضاء حزبه ـ الوفد المصرى ـ المال والسلاح لتدعيم الثورة السورية ، وسعد زغلول هذا الذى امتدت زعامته خارج مصر حتى شملت الوطن العربى هو الذى لا يذكر هؤلاء عنه الا انه قال لعبد الرحمن عزام ، وهو يتحدث معه عن الوحدة العربية : صفر + صفر = صفر .

وتلك قد تكون حقيقة اذا نظرنا الى الدول العربية

يومئذ فان الدول العربية كلها فى ذلك التاريخ - ١٩٢٤ - كانت خاضعة للاحتلال الاجنبى ولم تكن اية دولةعربية وقتئذ تملك الارادة المستقلة ، الامر الذى جعل تلك الدول وهى خاضعة للاحتلال الاجنبى لا تمثل اية قوة .. وما يقال عن الدول العربية وقتئذ لا ينطبق على الشعب العربى الذى كان مغلوبا على امره وكانت كل القوى الاستعمارية تبذل كل الجهود لتمزيق شمله . لعلنا ننشر بعض الصور للجيش البريطانى وللجيش المصرى عندما نزل الى القاهرة ليحول بين شعب مصر ، وبين الاحتفال بذكرى الاربعين لوفاةالزعيم العربى ، الكبير عمر المختار يرحمه الله ! وليعلم هؤلاء المتحاملون على مصر وعلى عروبة مصر ان اية قوة فى الوجود لا تستطيع ابدا ان تفصل مصر عن شعبها العربى ولاتستطيع ابدا ان تفصل الشعب العربى عن قلبهمصر،واذا كانوا يريدون منوراءحملاتهم الماجورةايلام شعب مصر وابعاده عن اشقائه فان تلك الحملات كاية حملات استعمارية اخرى اعدت بمهارة وانفق عليها الكثير من الاموال طوال السنوات الماضية مآلها الى الفشل الذريع ، وليعلم هؤلاء جميعا - من يظهر العداوة لمصر ، ومن يغلفها فى كلمات ممسولة ان انور السادات - الجندى البطل - يعمل لخير العرب ، ولتحرير كل الاراضى العربية ليل نهار وانه يسعى - ومن ورائهشعب مصر - الى تحقيق الوحدة العربية عن طريق العمل الجاد البناء ، وليس عن طريق الشعارات والمزايدات تلك التى كانت فى مقدمة الاسباب ، التى الحقت بنا الكوارث والهزائم والنكبات !

## عزيز على المصرى رائدا

ان انور السادات وتلك حقيقة تاريخية لاتحتمل الشك والتاويل - عندما الت اليه مقاليد الامور فى مصر نظر الى القضيةالعربية كاكل نظرة جديدة بعيدة عن اية رغبة فى الزعامة او القيادة وعالج المشاكل العربية بوعى وعمق وايمان وصدق بعيدا عن كل الحساسيات والاغراض الخاصة مؤثرا كما قلنا اكثر من مرة عدم التدخل فى الشئون الداخلية لاية دولة عربية ، لان من حق ايةدولة عربية انتعالج مشاكلها الداخليةبالاساليب

التى تراها لان ذلك من حقها الذى لا خلاف عليه لم يحاول انور السادات منذ ان آلت اليه قيادة الحركة الوطنية فى مصر ان يشترى اية عناصرعربيةيمكن ان تؤثر فى السياسة الداخلية لاية دولة عربية كما

انه لم يحاول ان يشترى اية صحيفة عربية تعمل لصالحه وتهاجم غيره كما يفعل البعض الان وانورالسادات ـ فى الحقيقة ـ من اوائل الذين فكروا وعملوا حتى قبل ان تقوم الثورة فى مصر من اجل تحقيق الوحدة العربية .

وللحقيقة وللتاريخ اقول انه اذا كان انور السادات فى مقدمة شبابنا الوطنى الذين آمنوا بان الاحتلال الاجنبى لمصر هو مصدر بلائنا كله ومن اجل العمل على القضاء على هذا البلاء نذر السادات نفسه منذ شبابه المبكر ـ للعمل على تحرير مصر من ذلك الاحتلال فان انور السادات ـ فى نفس الوقت ـ كانمن اسبق شبابنا الوطنى ادراكا لاهمية الكفاح العربى المشترك ودور ذلك

الكفاح فى القضاء على اى احتلال لاى جزء من اجزاء الوطن العربى ، واعتقادى الخاص ان عزيز على المصرى يرحمه الله قد لعب فى البداية دورا هاما فى توجيهانور السادات الى خطورة ذلك الكفاح المشترك فعزيز على

المصرى فى مقدمة الذين تتلمذ عليهم انورالسادات وعزيز على المصرى من اوائل الذين تاثر بهم انور السادات فى العمل الوطنى وعزيز علىالمصرى كما هو معروف فىمقدمة الذينعملوا منذ مطلعهذا القرنلتحقيقحلمالشعبالعربى فىوحدته كما انهمن ابرزالذين اوجدوا تنظيمات ثورية داخل اجزاء كبيرة من الارض العربية كمصر والسودان، وليبيا واليمن ، والعراق ، والشام ، والحجاز كان

هدفها تحرير الوطن العربى من الاستعمار الاجنبىوقد حوكم عزيز على المصرى فى عام ١٩١٣ اثر عودته من اشتراكه فى الحرب فى طرابلس وبرقة ـ ليبيا اليوم ـ ضد الاستعمار الايطالى وحكم عليه بالاعدام ، وكانت

محاكمته وكان الحكم عليه بمثابة بعث جديد للرأىالعام العربى الذى ثار ضد محاكمة عزيز على المصرى ، والحكم عليه ، الامر الذى دفع السلطات التركية الىعدم تنفيذ حكمالاعدام علىعزيز المصرى ، بلوالعفوعنه ،ودور

عزيز على المصرى فى الحرب العالمية الاولى واشتراكه فى القتال ضد الاحتلال الاجنبى ودوره المجيد بعد ذلك

فى الحرب وعمله الدائب المتصل مع كثير من قادة العرب لتخليص الامة العربية من الاحتلال الاجنبى كل ذلك جعل صفحات كفاح عزيز على المصرى من اكثر صفحات الكفاح العربى اشراقا وثورية ، ولما كان انور السادات تلميذا وفيا مخلصا لعزيز على المصرى ولما كان عزيز على المصرى يثق بتلميذه انور السادات ثقة مطلقة لا حد لها ويعرف الناس كلهم تلك الثقة التى دفعت السلطات المصرية تحقق مع عزيز على المصرى اكثر من مرة بسبب علاقته بانور السادات وعلاقة انور السادات به .

اقول ان كل هذا جعل انور السادات يستفيد الى ابعد حدود الاستفادة من تجارب عزيز على المصرى فى الكفاح الوطنى والذى يقرأ ما كتبه انور السادات ـ مثلا ـ عن ثورة رشيد عالى الكيلانى ضد الاحتلال البريطانى عام ١٩٤١ يحكم للوهلة الاولى بأن وعى انور السادات الوطنى لم يكن مقصورا على القضية المصرية وحدها بل كان يمتد الى كثير من آفاق الوطن العربى، كتب انور السادات عن ثورة رشيد عالى الكيلانى يقول : كانت هذه الثورة هى المتنفس الحقيقى لنا هنا فى مصر وكنا نتابع انباء هذه الثورة فى حماسة بالغة ونعلق عليها آمالا واسعة ، ولكن نظريتنا كانت تختلف كل الاختلاف عن نظرة عزيز على المصرى كانت نظرتنا مليئة بالارتياح والحماسة والتفاؤل وكانت نظرته مليئة بالضيق والتشاؤم فقدكنا فى شبابنا وحماستنا نريد أن نصنع ما صنعه رشيد عالى الكيلانى : نقضى على الانجليز او نعلنها عليهم ـ فى ازمتهم ـ ثورة مسلحة ، وكانت هذه البداية من رشيد عالى هى المفتاح الذى رايناه يفتح لنا الطريق ويشعل نار شعوب هذه البلاد على الغزاة فيها ، ولكن عزيز المصرى كان يسمع انباء هذه الثورة فينتابه الضيق والعصبية ويملؤه التشاؤم وكنا نساله فى ذلك فيقول : انتم لا تعرفون رجال السياسة فى العراق مثلما اعرفهم . وكان يسترسل فى حديثه فيروى قصصا من خيانات الساسة العرب او اكثر الساسة العرب على الاصح منذ اتصل بالاحداث فى عهد الدولة العثمانية وكان اذ ذاك يرعى الحركة العربية وكان يسمع انباء الثورة فيتوقع الخيانة وتتجسم له الخناجر التى لابد ان يطعن بها رشيد فى ظهره ،

وكان يتصور هذا المصير لتلك الثورة المخلصة ، فيكاد ينفجر غيظا ، وكمدا ، ولم نكن نحن حتى آخر لحظة نشاركه هذا الشعور او نقبل منه هذا الكمد » وتؤيد الاحداث وجهة نظر عزيز المصرى ، ولا تؤيد وجهة نظر انور السادات ورفاقه ، ويضيف انور السادات ورفاقه الى رصيدهم فى الكفاح القومى تجارب جديدة جاءتهم من العراق الشقيق كما اضافوا الى تجاربهم تجارب اخرى عديدة جاءتهم من كثير من ارجاء الوطن العربى ..

## حق عربى مردود الى اصحابه

ويقبل عام ١٩٤٨ وتقبل معه حرب فلسطين وتلتهب المشاعر عقب الاعتداءات اليهودية المتتابعة على عرب فلسطين العزل من السلاح ويقرر الشباب العربى فى مختلف البلاد خوض الحرب المقدسة ، دفاعا عن العروبة فى اعز ديارها كما يقول انور السادات وقصة حرب فلسطين على حقيقتها قصة مثيرة مفجعة هى ماساة حقا وماساة من النوع الذى لا ينسى وخلال تلك الحرب يكون انور السادات فى السجن فلا يشترك فى تلك الحرب المقدسة ، التى طالما تاقت نفسه ـ كما قال ذات مرة ـ لخوضها ولكنه كان دائما على صلة بالاحداث التى حدثت فى تلك الحرب وفى اعقابها ، ومنذ خروج انور السادات من سجنه وهو يتابع عن قرب تطورات القضية الفلسطينية وقد كانت علاقاته متينة الى ابعد الحدود بالقيادات الفلسطينية التى حملت اعباء النضال الفلسطينى منذ عام ١٩٤٨ ، واهتمامات السادات بالكفاح الفلسطينى تسبق هذا التاريخ فالسادات يرى بان نضال الشعب الفلسطينى ونضال الشعب المصرى كانا دائما عبر قرون ممتدة من التاريخ نضالا متصلا ثم جاء القرن العشرون ليجعل من هذا النضال قضية واحدة ، ولعل خير ما خوطبت به القيادات الفلسطينية المناضلة ما خاطبها به انور السادات فى ٦ ابريل ١٩٧٢ فى افتتاح الدورة الطارئة للمجلس الوطنى الفلسطينى اذ قال : انتم ونحن طلائع الخط الاول من وقفة امتنا

امام اعدائنا .. انتم ونحن الاكثر تعرضا لشراسة العدو وهو يحاول تنفيذ مخططاته العدوانية ... انتم ونحن كتب علينا ان نتحمل ، وان نصمد وان نعيش اصعب الظروف .. انتم ونحن مسئولون عن اجتياز هذه الظروف الصعبة والخروج منها الى الافاق الواسعة ، للامال الوطنية والقومية .. انتم ونحن لا سبيل امامنا الا القتال .. انتم ونحن ليس امام اى منا طريق منفرد .. طريق شعب مصر ، هو نفس طريق شعب فلسطين وطريق شعب فلسطين هو طريق شعب مصر .. كان تاريخنا مشتركا ، وكان نضالنا متصلا واقدارنا اليوم واحدة .. لنكن جميعا على بينة من اننا سوف نقاتل دفاعا عن حقوقنا ، وحقوقكم : ان هذا الوطن المصرى لن يسمح لاى من كان بالتفريط فى حقوق شعب فلسطين : انه بالنسبة لهذا الوطن فان التمثيل الشرعى الوحيد الذى يعترف به لشعب فلسطين هو المقاومة المشروعة ، هو انتم ..

ان مجرد استمراركم فى حمل البندقية تجسيد صحيح وسليم لشعب فلسطين : ليس امامنا الا تحمل مسئولياتنا ، وليس امامنا الا تحمل المخاطر وليس امامنا الا الرضى بالطريق الصعب لكنه ليس امامنا بديل عن الوصول الى هدفنا .. وهدفنا : ارض عربية حرة ، وحق عربى مردود الى اصحابه » ..

**صبرى أبو المجد**